أزمة الخطاب الفلسفي المعاصر
ومحاولة تجديد المفاهيم الفلسفية
ومنطلقات فلسفية للفكر العربي المعاصر

مصطفى عبده خير(*)

الأزمة المعاصرة ليست أزمة اقتصادية أو سياسية أو عسكرية، فهي "أزمة فكرية" بالدرجة الأولى، وللفلسفة دورها الحضاري في التطور الحضاري الفكري "المادي والمعنوي"، وللفلسفة دورها الرائد في بلورة الفكر الإنساني عبر عصوره الفلسفية.

الإنسان المعاصر حائر وجائر في نفس الوقت، قلق ومتهور، بل أصبح كائنًا غير مبالي، لا شيء يلهمه، ولا شيء يحرك كوامن وجوده الباطن، فلا يستشعر أية دهشة، أو تعجب، أو حماسة أو أي إجلال وأصبح ينزلق فوق سطوح الأشياء. والإنسان الذي نريده أن يكون واعيًا بنفسه وما حوله ويتمتع بقوة نفاذة ليتذوق قيم الحياة بكل ما فيها من وفرة وامتلاء وخصوبة. ومهمة الفيلسوف هي الأخذ بيد ذلك الإنسان المنزلق لكي يسترد عافيته، تلك الحاسة الإنسانية ليرى الجمال ويدرك المعاني ويحس بالجمال ويعمل بمقتضى الجمال. لتحويل العالم من المرتبة الطبيعية الصرفة إلى المرتبة الإكسيولوجية الحقيقية. العالم الغربي والشرقي ينحدر نحو الهاوية كُلٌ على سفح مختلف. فيجب إنقاذ العالم من هذا التردي والواقع المهين.

(*). أستاذ بجامعة النيلين، قسم فلسفة، السودان، ٢٠٠٦.

فقـد صاح من قبل أب الفلسفة "سقراط" "أعرف نفسك بنفسك" وقد قالها من قبل الإلـه "ابادمـاك" إله النوبة "النقعة والمصورات" -الحضارة المروية بالسودان- عندما كـان ممـسكا بمرآة في يده ينظر إلى نفسه بنفسه ليعرف نفسه بنفسه[1]. ونحن نصيح نفـس الـصيحة "أدركـوا ذلـك الإنـسان الذي نسي نفسه بنفسه". في خضم الثورة التكنولوجية الرهيبة والثورة البيولوجية المرعبة التي صنعها بنفسه ونسي نفسه خارجًا عنها.

للغـرب قراءة أحادية مع أنها عرجاء وعوجاء وهوجاء، إلا إنهم قرؤوا بها ولهذا كـان الـتفوق الحضاري والغلبة الفكرية والمادية، ولكننا لنا ثلاثة قراءات ولا نقرأ بها "أمية حضارية" .

القراءات الثلاثة:

١- قراءة الكون كتاب الله المنظور- الوجود- عالم المادة.

٢- قراءة الوحي كتاب الله المقروء- القرآن- عالم الروح.

٣- قراءة النفس كتاب الله المحفوظ- الإنسان- عالم المعرفة.

وحجـم التغيـرات التـي أصـابت وتصيب عصرنا هائل في تأثيرها على البنى الاجتماعـية والاقتـصادية والمعـرفية لمـستقبل البشرية وواقع الهيمنة الغربية التي تفرضـها حالـة الجدب والطرد، وصلتنا بالغرب لا تتجاوز ثلاثة محاور: استتباع أو اسـتعداء أو اسـتلهام، فالاسـتتباع تبعية مذلة واسترقاق حضاري، والاستعداء انتحار حـضاري، فلا يبقى غير الاستلهام التراثي والتحاور الحضاري على المائدة الحضارية ومشاركة ندية.

---

(١). إشارة من الدكتور محمد المجتبى- أستاذ الفلسفة بجامعة النيلين- في مناقشة عن الفكر النوبي في الحضارة المروية بالسودان .

ولهـذا التـردي الحضاري والتهديد القمعي الغربي للعرب، تصدى لهذا التهديد نفر من مفكري العرب بأطروحات دفاعية لمشروع تصدي حضاري جديد[1].

وفـي هـذه الورقة لا أستطيع الكتابة عن هؤلاء النفر الكرام لأن كل فرد منهم يحـتاج لمؤتمـر خـاص به لكثافة كتاباتهم الفلسفية- فأوزانهم ثقيلة- لا تتحملها هذه الـورقة الابتدائية لمراجعة أعمالهم الفلسفية والسبر في أغوار مفاهيمهم الفكرية، ولكل منهم منطلق خاص ينطلق من خلاله:

١- أ.د. حـسن حنفـي: الفكـر التصاعدي من النقل إلى الإبداع وقيادته لثورة فلسفية.

٢- أ.د. طـيب تيزينـي- ومشروع رؤية جديدة للفكر العربي من التراث إلى الثورة.

٣- أ.د. محمد أركون- تفكيك مفهوم العقل من خلال مساءلة العقل.

٤- أ.د. محمـد عابـد الجابـري- الـتوازن في التحليل البنيوي وقراءة جديدة للنص.

٥- أ.د. نـصر حامـد أبـو زيد- سلطة النص وتجديد المفاهيم وتمديد المجال الإبداعي .

---

(٢). أنظـر في إعادة كتابة التراث في كتابات كل من حسين مروة، والطيب تيزيني، ومحمد عابـد الجابري، ومحمد أركون، وحسن حنفي، وعاطف العراقي ونصر حامد أبوزيد. = وأنظـر أيضاً كتابات سيد قطب، حسن الترابي، ومحمد قطب، ومحمد الغزالي، ومحمد عبد الله دراز، والشعراوي .

وعلـــيه ســـيكون بحثنا من خلال منطلقاتهم الفكرية والفلسفية بالإشارة الطفيفة إلى أقـــوالهم ومحاولـــتهم فـــي اســـتبقاء العقل العربي في مجرى التاريخ، وهناك محاولة لاســـتبعاد العقـــل العربـــي وتـــاريخ الفكـــر العربي وطمث الخطاب الفلسفي "العربي" المعاصـــر، مـــنذ عهـــود انحطاط الحضارة العربية الإسلامية وتدهورها بعد أن كانت منتـــصرة فـــي الفتـــرة الأولـــى ما بين القرن السابع الميلادي إلى القرن الرابع عشر المـــيلادي، حـــيث توقـــف الإبـــداع العربـــي بعد "ابن رشد" في الغرب و"صدر الدين الشيرازي" في الشرق "إيران" .

والحـــضارات تـــسير علـــى منحنـــى سباعي بدءًا بالإقلاع الحضاري والنهوض والانطلاقـــة حتـــى تصل إلى التألق الحضاري، لتتدنى وتنحدر فتسقط للقاع، والتاريخ القديم والحديث خير شاهد على ذلك لحضارات سادت ثم بادت[1].

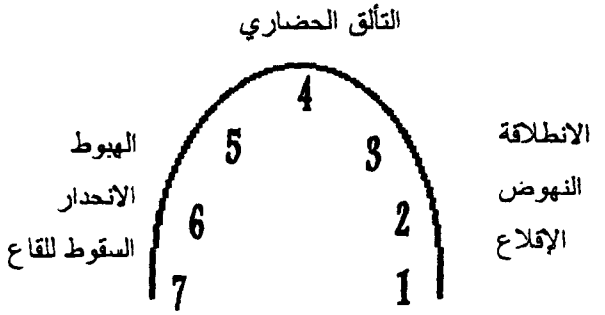

(١). ارجـــع للإيقـــاع الكوني السباعي والرابع المتألق- منظور جديد للنظام الكوني وتناسقه وتـــناغم وحداتـــه المتناسقة- مقال محكم: مجلة القياس النفسي- جامعة غزة العدد ١٥- فبراير ٢٠٠٠م، ومجلة حوض النيل- العدد الثاني- يوليو ٢٠٠٠م، لمصطفى عبده .

إلا أن الحضارة الإسلامية لا ولن تسقط للقاع، وذلك لأن الحضارة الإسلامية مستمدة من الإسلام والإسلام من القرآن، والقرآن محفوظ عند الله لقوله تعالى "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" وعطاءات القرآن متجددة عبر الأزمنة والأمكنة، والقرآن يحمل في طياته مفاهيم متجددة متسقة مع الزمان المتغير والمكان المتجدد والإنسان التبدل كمعجزة زمانية أبدية من خلال **أسباب النزول "المكاني" وغاية النزول "الزماني" الممتد .**

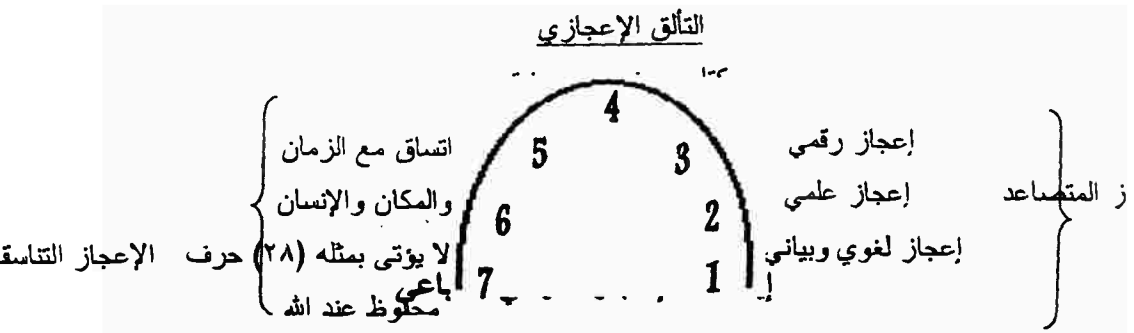

ولكننا ومع ذلك فإننا نسير على نفس المنحنى ولكن ليس سقوطًا للقاع ولكننا **في حالة استنقاع.** فكان لابد من الخروج من هذه الحالة الاستنقاعية، والبروز على السطح لنتنفس هواءًا نقيًا، ولرؤية الأشياء بوضوح برؤية بصرية واستبصارية. ولتطبيق مدلولات القرآن تطبيقًا واقعيًا على الحياة المعاشة، فالقرآن لغة السماء بألفاظ عربية بالكلمة المنطوقة والمقروءة ليطبقها الرسول تطبيقًا بشريًا على الأرض- **القرآن الحي الطبق** على الواقع من خلال الإيقاعات الكونية في حركتها الدائبة :

١- الإيقاع الزماني وعطاءاته المتغيرة المتتالية – سيال ديمومي .

٢- والإيقاع المكاني وعبقرياته المتجددة المتوالية – تفجر متنام .

٣- والإيقاع الإنساني وإبداعاته المتبدلة المتعالية- إبداع متناغم .

• العطاءات القرآنية تتجدد مع الإيقاع المكاني والمكاني والإنساني "الزمكان"

علـــى حسب الواقع المتغير. فلم يفسر الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن حتى لا يكـــون تفـــسيرًا توقيفـــيًا، وذلك ليسع القرآن الحركة الإنسانية والتطور العلمي وحل المـــشكلات المتغيـــرة والمتـــصاعدة، فقد تنزل القرآن بإيقاعات القرن السابع الميلادي ولهذا فهمه إنسان القرن السابع بدون تفسير، فلم يسأل أحد عن معاني فواتح السور "الم - المـــر- حـــم-....." ونجـــد لها معاني كثيرة فإذا ما حذفت الحروف المكررة تبقى حروف غير مكررة من أربعة عشرة حرفًا تكون جملة **"نص حكيم قاطع له سر"**.

إذن كـــان لابـــد مـــن الارتقـــاء إلـــى مستوى الإيقاع القرآني حتى يتم التفسير الموضـــوعي من خلال سبب النزول "المكاني" وغاية النزول "الزماني" الممتد "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ".

وذلـــك لتفـــسير الواقـــع باستخدام المناهج العلمية بمرجعية نصية وتراثية لغايات إبداعية، وتوظيفه في خدمة مصالح العباد.

حتـــى الناسخ والمنسوخ له مكان في التفسير، فالمنسوخ ليس هو إلغاء للآية بل له تفسيره في موقعه المناسب فلا ناسخ ولا منسوخ، ويمكن استخدام الناسخ والمنسوخ في أمـــاكن معينة وأزمنة بعينها لتتناسب غاية النزول والاستخدام الأمثل للواقع القرآني، فقد اســـتخلف الإنـــسان على الأرض ليعمر الأرض بالإبداع وليس لتدميرها. والانتقال من الإبـــداع إلى "ممارسة الإبداع، وتمديد المجال الوظيفي للإنسان من المستوى البيولوجي إلى المستوى الإنساني والإبداعي، والانتقال من وظيفة التواصل لكشف البعد الإنساني.

يعـــتمد "محمـــد عابد الجابري" على منهج التحليل البنيوي، يبدأ في قراءته للنص القرآني في محيطه الاجتماعي الخاص، أي بجعله معاصرًا لنفسه ومحيطه الاجتماعي،

ويضيف الجابري بأن المصلحة العامة هي الأساس في أتباع النص أو في تجاوزه وفي ارتباط النص بلحظته التاريخية والاجتماعية[1].

يحـــاول "محمد أركون" تجديد دراسة الكتاب العظيم وإعادة الفهم. ويطرح مشاكل معقـــدة بخـــصوص التفـــسير مـــشاكل عامة تخص وجود الآيات التشريعية في النص الموحـــى، وهو هنا يطرح مشكلة ثيولوجية لحاجة الفكر الإسلامي إلى اجتهاد تجديدي ثيولوجي على كافة الأصعدة.

ويـــرى "أركـــون" ضـــمنيًا واعتمادًا على موقف الفخر الرازي في رفضه للنسخ باعتباره أمر يمس العصمة الإلهية لأنه لا تبديل لكلمات الله. فقد أراد "أركون" أن يبين تأثير التوازنات الاجتماعية على تأويل النص.

تجـــاوز "محمد أركون" النظرة التراثية "السلفية" والنزعة الاستشراقية إلى الأصول حافـــزًا منقـــبًا، وإخـــضاعها للنقد والتفكيك، فلا يقتصر على الأحاديث والتفاسير، ولا يكتفي بتفكيك الأنساق الفقهية والمنظومات العقائدية. بل توغل في نقده وتفكيكه وصولًا إلى الأصل الأول أي إلى الوحي القرآني[2].

---

(١). عـــبد الهـــادي عبد الرحمن- سلطة النص- قراءات في توظيف النص الديني- الطبعة الثانية- الانتشار العربي- سيناء للنشر- القاهرة، صـــ٢٢٣.

(١). أحمد عبد الحليم- ما بعد الحداثة أوراق فلسفية، صـــ-١٤٤ .

(١). علي حرب – نقد النص- المركز الثقافي العربي – صـــ٧٥

والمقـصود بمنهجـية التفكيك، تفكيك الميتافيزيقا الكلاسيكية والأنظمة الثيولوجية الموروثة، فقد ركز نقده وتفكيكه بالدرجة الأولى على الخطاب الإسلامي وتجلياته بدءًا من النص القرآني ذاته وانتهاء بكل ما انتظم حوله من نصوص وخطابات.

والقـراءة التفكيكـية قد تميط اللثام عن السمات المشتركة لجميع العقائد[1]. وكما يقـول "أركـون" أن الظاهرة الدينية بشكل عام تظل حتى الآن شيئًا لا مفكر فيه داخل الفكر العربي الإسلامي[2]. وإن التفكيك يسعى إلى استنطاق خطاب الحقيقة عن بداهاته المتحجـبة. لقد خلخل أركون الأسس التقليدية والتصورات الراسخة بعناد من الجهتين الإسـلامية والاستـشراقية، كمـا يتـضح ذلـك في طريقة تناوله لمسألة العلمنة في

---

(١). محمد أركون- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد- ترجمة وتعليق هشام صالح بيروت، صـ ١٠ .

(٢). ارجـع لمقـال د. محمـد وقيع الله بعنوان محمد أركون وعلمنة الإسلام بمجلة أفكار جديـدة- مجلـة فصلية تصدر عن هيئة الأعمال الفكرية السودان- العدد الحادي عشر- مارس ٢٠٠٥ الصفحات (٣٤-٥٧) .

(٣). محمد أركون: من فيصل التفرقة إلى فصل المقال- صـ١٢٤ .

(٤). أحمـد عـبد الحليم ما بعد الحداثة، صـ١٤٧. مقتبس من كتاب العلمنة والدين لأركون ترجمة وتعليق هشام صالح.

الإسلام[1].فيقول محمد أركون: لا يمكن التسامح أن يترسخ إلا بعد تفكيك هذه الهويات الثابتة والجامدة والراسخة منذ عدة قرون[2].

وهـذا المـنهج النقدي الجرئي الذي سلكه أركون يفتح عليه أبواب الانتقادات لهذا المسلك النقدي الذي اقتحم الممنوع[3].

وقـد قامـت معارك حول نصوص "نصر حامد أبو زيد"، وهي تؤكد فهمنا لوطأة الحالـة الجديـدة التـي تعيشها الثقافة العربية الإسلامية، ورد النص بالنص لا بالتسلط الكهنوتي[4] لمعرفة قراءته للنص وتجديد المفاهيم القرآنية وتمديد المجال الإبداعي لفهم المعاني وإعطاء فسحة للعقل والفكر الممتد والحرية الإنسانية.

ويضع "حسن حنفي" قواعد سبعة لإعادة تركيب النص[5]:

١. تفتيت النص المنقول وتحليله.
٢. إعادة تركيب النص طبقًا للتصور الإسلامي.
٣. إسقاط جميع الأمثلة من ثقافة الغير.
٤. وضع أمثلة أخرى وشواهد جديدة.
٥. إكمال النقص في النص المنقول.
٦. التصحيح وإعادة التحقيق.

---

(٥). أرجـع لكـتب وكتابات نصر حامد أبو زيد في رأيه عن سلطة النص وتجديد المفاهيم وتمديد المجال الإبداعي لفهم المعاني.

(١). مركـز دراسـات الوحدة العربية- بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الثاني مقال للدكتور حسن حنفي بعنوان الفلسفة والتراث، صـ ٣٩١.

٧. إعادة الأطراف إلى الوسط من أجل إكمال التصور الشامل.

وهي المحاور التي يمكن اتخاذها في المنهج الثوري بالانتقال من النقل إلى الإبداع، وقيادة ثورة فلسفية قيادة قائدة وقادرة، انطلاقًا من التراث إلى الثورة المبدعة، من النقل إلى العقل وإلى المجال الإبداعي.

ما نعنيه بالتراث هو التراث الفلسفي القديم ونعني بالفلسفة الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة. فالتراث هو التراث الفلسفي العربي القديم المقيم، والفلسفة من الغرب، يعني ذلك أن "الآخر" هو الحديث المعاصر، وأن "الأنا" هو التأريخ القديم كما يعرفه حسن حنفي، فإذا كان التراث يعبر عن "الأنا" والفلسفة تعبر عن "الآخر" فإن علاقة التراث بالفلسفة هي علاقة صراع بين الأنا والآخر ويكون الصراع بين "لأنا والآخر" يكون في الواقع المباشر. فهناك تراث عربي قديم "السلفية" وتراث غربي حديث "العلمانية" وواقع حاضر "الإصلاحية". ويردف قائلًا متساءلًا: "ما زلنا نفرق بين الفرق دون محاولة للجمع بين الفرق" كان التصوف حركة مقاومة سلبية بعد استحالة المقاومة الفعلية، ومازلنا ندرس التصوف كحركة خروج من العالم بينما العالم ينزلق من بين أيدينا فآدين السيطرة عليه ثم يأتي الغير كبديل عنا ليحل محلنا[1]، وهذه أزمة فكرية في غياب العقل العربي وفقدنا الإحساس بالواقع حتى كان الانهيار، فلابد من صحوة.

إذن لابد من عمل في تصديق النظر وتحقيقه بالفعل فالإيمان نطق باللسان وتصديق بالجنان وعمل وبيان. فإذا ما تصفحنا الآية (٣٨) من سورة الشورى في قوله تعالى: ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ نجد أن إقامة الصلاة تليها إيتاء الزكاة إلا في هذه الآية ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾.

---

(١). حسن حنفي- مركز دراسات الوحدة العربية- صـ٣٧٣.

وأمـــرهم شورى بينهم "معاملات" وحركة حياتية وسياسية واجتماعية بين عبادتين الصلاة والإنفاق أي الزكاة والصدقة، والمعاملات أي العادات والحركة الحياتية رابطة بـــين عبادتـــين فالصلاة عبادة بين العبد والرب والزكاة والإنفاق عبادة بين العبد وأخيه الإنسان، بينهما التشاور والتعامل الشوري الديمقراطي[1].

هـــذه الإشـــارة الإبداعية تتجلى في المعاملات وتحويلها إلى عبادات تحقيقها لقوله تعالـــى: "ومـــا خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" فالمعاملة الشورية هي عبادة واستقامة فالأصـــل في العبادات المنع ما لم يرد نص بالإذن، والأصل في المعاملات الإباحة ما لـــم يـــرد نـــص بالتحريم، وذلك في الإبداع في المعاملات والعبادات، وهذه الآية مكية "وأمـــرهم شـــورى بيـــنهم" فـــي الحياة الاجتماعية أما في المدينة فكان اللفظ القرآني "وشـــاورهم فـــي الأمر" إشارة إلى ضرورة المشاورة في الدولة والأمر بالشورى هنا للنبـــي المعـــصوم الذي لا ينطق عن الهوى فما بالك بالحكام الطغاة الذين لا يشاورون ولا يتـــشاورون، فـــالحكم لـــيس حكمًا على الناس، بل هو حكم بين الناس، فلم ترد آية واحدة "حكم على الناس" وقد وردت [2] آية حكم بين الناس.

وبهـــذا اســـتخلف الإنسان في الأرض "إني جاعل في الأرض خليفة" ليس بالمعنى الغربـــي للإنـــسان المتعالـــي الـــسيوبرمان سيدًا على الأرض، وليس بالمعنى الشرقي

---

(٢). مـــن مقابلـــة مـــع البروفيسور حسن علي الساعوري، أستاذ الدراسات السياسية ومدير جامعـــة النيلـــين عـــندما نبّه إلى هذه الرابطة العملية بين العبادة والعادة من خلال لقاء تلفزيونـــي، وهـــي إشـــارة بديعة في تحويل العادات إلى عبادات وما يتبع ذلك من عمل شورى عبادي.

(١). فتحي التريكي- الفلسفة الشريدة- مركز الإنماء القومي- بيروت- صـــ٣١-٣٣.

المحتقـــر الـــذي يفنى في النيرفانا، بل هو الإنسان النبيل المتعالي على الدنايا والخطايا والرزايا ليعمر الأرض بالعمل الصالح.

فكـــان لابد من أسلوب خطابي جديد من خلال قراءة جديدة للتراث. والفلسفة بحث في الوجود وسارت الفلسفة مع التطور الإنساني الفكري والبناء الحضاري.

وللتعـــرف على الفلسفة في مجتمعاتنا العربية علينا أولًا التعامل مع التراث بإحيائه وتدقـيقه وضـــبطه مـــن خلال الفلسفة. وما الفلسفة إلا عملية تشخيص للواقع المعاش، يكـــون ذلك بتجاوز طابع النقل والتقليد والاتباع والمسايرة إلى الإبداع والمبادأة، وعلى ألا تكون من خلال قراءة تراجعية وارتكاسية كما يقول محمد عابد الجابري، والخطاب الفلسفي العربي يعمل خارج الإطار الفلسفي كما يقول طيب تيزيني[1].

وقـــد هـــدف "طيب تيزيني" إلى تحليل تطور قضية العالم المادي- الوجود المادي بأشكاله الأساسية، ويصبح الإنسان جزءًا مكملًا للوجود المادي[2].

وفـــي المقابـــل كانـــت الفلسفة المثالية المتمثلة في أبي الحسن الأشعري والغزالي لتأطيـــر الواقـــع والفكر. ويحاول تيزيني استجلاء وحدة الفكر العربي منذ القرن السابع حتـــى العصر الحديث في اكتشاف وإبراز المعالم الثورية من هذا الفكر لصهرها على نحـــو خـــلاّق فـــي بوتقة الكفاح العربي والإنساني من أجل التحرر الاجتماعي، وذلك للانـــتقال من التراث إلى الثورة، وكان هدفه اكتشاف الجسور التي تفصل بين الجوانب الحسية الثورية في تراثنا وبين الفكر الثوري المعاصر لينضم تيزيني إلى المفكرين في إثارتهم للتراث والانتقال من النقل إلى الإبداع.

---

(٢). طـــيب تيزينـــي- مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط- دار دمشق- ١٩٨١- صـــ٤٠٨.

(٣). المرجع السابق- صـــ٤١٠.

يحـــاول طيب تيزيني استجلاء الجوانب الحسية الثورية المادية عبر تاريخ الفلسفة مـــنذ العهـــود الأولـــى للتفلـــسف والمعرفة الفكرية، بدءًا ببدايات الفكر الفلسفي ما قبل ســـقراط وبعد سقراط والانتقال إلى الفكر العربي الإسلامي عند الكندي والفارابي وابن ســـينا وابـــن الطفيل في نشوء وتبلور الفكر الاجتماعي المادي عند ابن خلدون وانتهاء بـــابن رشـــد ووصولًا بالفكر العربي الإسلامي قمته وبلورة هذه الثورات المتتابعة في مـــشروع رؤيـــة جديدة للفكر العربي ليجد المشروع القومي العربي مبرر وجوده في الوجه الجديد آخذًا بالتراث بإحداث ثورة فكرية من التراث إلى الثورة.

ويختـــتم طـــيب تيزيني في نهاية كتابه "مشروع رؤية جديدة"، هكذا نجد أن الفكر الإســـلامي الوســـيط فـــي خصوبته الضخمة بدءًا من المحاولات الأولى لابن المحبر ومـــرورًا بالمعتـــزلة وانتهاءًا بابن خلدون وابن رشد، أنه فكر حي إنساني وموسوعي وأصـــيل، وكـــذلك الجانب المناوئ للذين أخذوا بالذرية الإسلامية يشكل خطوة إيجابية على طريق مجابهة الأيديولوجيين والإقطاعيين والاحتجاج عليها.

وهـــذا التراث العملاق يتطلب أخذ موقف ملتزم منه موقف يعيد الاعتبار للجوانب المـــشرقة منه، ويقيم الجوانب المظلمة على نحو علمي دقيق. هذا يعني أن إعادة النظر تلـــك شوط أولي من أجل خلق وضوح وتماسك علميين بالنسبة إلى القضايا الاجتماعيه والقومية والفكرية المطروحة في وطننا العربي الكبير والصغير.

ويقـــول طـــيب تيزينـــي أن "الحقـــل الفلسفي يشتمل على ثلاثة أنساق هي نظرية الوجود "الأنطولوجيا" ونظرية المعرفة ونظرية الممارسة "الفعل الإنساني"[1].

---

(١). مركز دراسات الوحدة العربية- الفلسفة العربية المعاصرة- فيما بين الفلسفة والتراث- طيب تيزيني- صـــ٤٠٤- المؤتمر الفلسفي الثاني.

ونحـــن نقـــول أن الأنساق الفلسفية تتمحور في مبحث الوجود، ونظرية المعرفة، ومـــبحث القـــيم من خلال الفعل الإنساني، فالفلسفة في نظرنا بحث في الوجود المدرك مـــن خـــلال نظرية المعرفة لإنسان مدرك للبحث عن القيم قيم الحق والخير والجمال. ووجـــود الإنسان يختلف عن وجود الكائنات الأخرى وعن وجود باقي الأشياء، فوجود الإنـــسان هو وجود مدرك لموجودات مدركة، أي الوجود الإنساني الفعّال Existence ولـــيس الوجـــود البـــسيط "Being". وهي المسافة الواعية بين الإنسان وباقي الكائنات فللحـــيوانات وعـــي ولكنه وعي أحادي أما الإنسان فوعيه مزدوج أي أنه يعي أنه يعي "وعـــي الوعـــي"، لتحقيق حق الاستخلاف وتعمير الأرض بالإبداع، إبداع فني وعلمي وعملي وأدبي وفلسفي فكري وعقائدي الإبداع الحضاري.

للكـــون قانـــونه "الحتمـــية" وللإنسان قانون "الحرية"، فما هي الصلة بين الحتمية الكونـــية والحـــرية الإنسانية؟ وهو الضابط الجمالي. إذ أن دائرة القانون أضيق الدوائر لأنهـــا ضابطة للإنسان في المجال الظاهري فقط، ودائرة الدين أوسع من دائرة القانون لأنهـــا ضـــابطة للظاهر والباطن، أما دائرة الأخلاق أوسع من دائرة الدين فدائرة الدين ضـــابطة لمن يتدين بذلك الدين، أما دائرة الأخلاق فهي ضابطة للإنسانية تليها الدائرة الجمالـــية وهي أوسع الدوائر لأنها ضابطة لكل الكائنات، وما نعنيه بالضبط هو ضبط حدود وليس ضبط قيود[1].

---

(١). مـــصطفى عبده- الفلسفة التطبيقية لخدمة قضايانا القومية في ظل التحديات المعاصرة- الـــدار المـــصرية الـــسعودية للنشر- تحرير د. مصطفى النشار- الموقف الأخلاقي من الثورة البيولوجية والاستنساخ الحيوي- صـــ٣٣٧.

فـالأخلاق المغلقة الاتباعية تؤدي إلى الصراعات والحروب، أما الأخلاق المنفتحة الإبداعـية تـؤدي إلـى السلام والطمأنينة، ويقول حسن حنفي: "وضاعت عن النفس الطمأنينة والسكينة وحياة السلام وتحولت إلى حياة حرب وتضاد وصراع[1].

وعلى الإنسان أن يترقى ويتسامى من خلال اعتقاد خاشع إلى إيمان وتقوى ليتألق في مرتبة الإحسان ليكون مطمئنًا لسلام داخلي وسلام خارجي بإبداع الأخلاق المتجملة الإبداعية.

ويلخـص "حسن حنفي" موضوع الانطلاقة الإبداعية بقوله: "يمكن إذا لجيلنا النظر إلـى المـنطق ككـل واحد، منطق العقل الخالص عند الفلاسفة، ومنطق الشعور عند الـصوفية، ومـنطق الواقـع عـند الفقهـاء، مـضيفًا عليه الجدل الاجتماعي ومنطق التأريخ"[2].

ونـضيف نحـن علـى الإنـسان أن يتسق مع الإيقاعات الكونية الزمان والمكان والإنـسان، والقـراءة المتعددة في قراءة الكون والوحي والنفس، والسير عبر المعابر الثلاثة:

١. باعـتقاد خاشع يصل حد التقوى الجلالية من خلال عقل يستقرئ الحق، أي بحقٍ يُعقل "الحق".
٢. واختـيار حـر ملتزم بحدود الحرية "حرية إنسانية" يصل حد الاستقامة الخلقية من خلال إرادة تستقطب الخير، أي بخيرٍ يُراد "الخير".

---

(١). حـسن حنفـي- المؤتمـر الفلـسفي الثانـي- مركز دراسات الوحدة العربية- الفلسفة والتراث- صـ٣٨٠

(٢). المرجع السابق نفسه- صـ٣٩٨.

٣. وإبداع رائع يصل حد الروعة الجمالية، من خلال حس يستقطر الجمال، أي بجمالٍ يُحس به "الجمال".

وذلـك بتحقـيق القـيم الثلاثة في الحق والخير والجمال من خلال الفعل الإنساني بإبـداع القـيم واستيقاظ النفس لترى الجمال لتعمل بمقتضى الجمال عندما يكون خاشعًا نقيًا ومبدعًا تقيًا وحرًا وفيًا.

لا يـسعنا إلا أن نـتوقف هنا حتى نتمكن- في وقت أوسع- من سبر أغوار الفكر العربـي الإسلامي المعاصر لمفكري العرب في محاولتهم تجديد المفاهيم، وبعث العقل العربـي الإسلامي من جديد انطلاقًا من التراث إلى الثورة وإلى المجال الإبداعي لبناء حضارة إنسانية جمالية.

•••••••

رقم الإيـــــــــداع

2003/12318